التأويل الخاطئ في قراءة النص الدينيّ وأثره في نشأة التطرّف

أ.د. مرتضى عباس فالح
كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة

المقدمة:

كان الفكر التكفيري وما زال يشكل خطراً كبيراً على الإنسانية جمعاء ، وهذا واضح مما فعله الخوارج قديماً من أفعال وأعمال فرّقت الأمة ، وأبعدت كثيراً من الناس عن طريق الحق ، فقد ابتعدوا عن المنهج الحق مما سبّب أن تعدّوا وتجاوزا بتأويلاتهم الخاطئة في قراءة النص الديني ؛ ليتناسب مع فكرهم الشيطاني الذي يمتد بأصوله إلى الشيطان وكيف تكبّروا حسد نبيّ الله آدم (عليه السلام) وعصى الله تعالى في حسده وتعصّبه وطغيانه الذي ظهر في صور متعدّدة في آيات القرآن الكريم ، فكان من نتائج ذلك في مرحلة من مراحل الفكر التكفيري على طول الحياة هو ظهور الخوارج القدماء ، ومن آثارهم ظهور الخوارج الجدد وكيف كان لذلك الأثر الكبيرة في امتداد أصول التطرّف وفروع تأويلاته الخاطئة في قراءة النص الدينيّ في عصرنا الحديث اليوم .

لأجل بيان ما تقدم ، والوقوف على مفاصل مهمة من خطورته وآثاره كانت فكرة هذا البحث الموسوم بـ ((التأويل الخاطئ في قراءة النص الدينيّ وأثره في نشأة التطرّف)) ، وقد استلزم ذلك أن يكون البحث في شكله الآتي :

- فهرست المحتويات .
- المقدمة .
- المبحث الأول: أسباب التأويل الخاطئ في قراءة النص الدينيّ .
- المبحث الثاني: صفات الخوارج (المتأولين خطأً) قديماً وحديثاً، ونماذج من تأويلاتهم الخاطئة .

– الخاتمة : وفيها أهم ما توصّل إليه البحث .

– قائمة المصادر والمراجع .

واختم الحديث بما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان: ((بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم، فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الشيطان المضلّ، والأنفس الأمارة بالسوء، غرتهم بالأماني، وفسحت لهم بالمعاصي، ووعدتهم الإظهار ، فاقتحمت بهم النار))[1] .

وهذه نتيجة حتمية لكلّ من يتبع الشيطان الذي يتنوع بأدواره ومصاديقه في هذه الدنيا ، فمرة بشخصه ومرةً بالكافرين، ومرة بالخوارج، ومرة بداعش، ومرة بمصاديق أخرى أساسها الضلال والتيه وإيقاع الناس الضعفاء عقولاً ونفوساً في شراك الشرك والضياع والضلال والتكفير وفهم الأمور على غير صورتها الصحيحة.

المبحث الأول

أسباب التأويل الخاطئ في قراءة النص الدينيّ

إنّ مصطلح (داعش) مثلاً الذي يشير ظاهراً إلى الإدّعاء الكاذب قولاً وفعلاً (الدولة الإسلامية في العراق والشام) إنما هو إدّعاء في ظاهره مزيّف وكاذب ، فكيف بباطنه الذي يُشير جهاراً نهاراً إلى كثير من صفات الشيطان الرجيم الذي عصى الله تعالى وتمرد بوجه الله وخالف ما أمر به فضلا عن تخلفه عن الايمان بما أوجبه الله تعالى ، وهذا ما سار عليه منهجه وبدقة المتطرفون اليوم .

وليس هذا فقط بل كان الحسد والحقد والتجبر والتكبر من أهم ما تشربه الشيطان وهؤلاء الخوارج الجدد إذا أردنا التدقيق في ذلك نجد جوانب كثيرة قد تمثلت في التنظيمات التكفيرية وما اتصفت به من تلك الصفات الشيطانية .

أولاً : الأسباب الرئيسة للتأويل الخاطئ في قراءة النص الدينيّ :

ولأجل بيان ذلك نقف عند ما يأتي :

١. : إنّ لفظة الشيطان : لفظ عبري الاصل ، ومعناه في اللغة (العدو) وهذا يدل على الشر في دين الاسلام والمسيحية واليهودية [٢] وهذا ينطوي على المعنى الإصطلاحي أيضاً فضلاً عما هو معروف من صفات الشيطان ومنها : صفات الشر ، والتمرد ، والتحدّي لله تعالى والتكبّر على أمر الله تعالى به ، في مسألة السجود لنبي الله آدم (عليه السلام) ورفض إبليس السجود بحجة انه مخلوق من نار وهو أفضل من نبي الله آدم (عليه السلام) الذي خلقه تعالى من طين ، وهذا عين التكبّر والتمرّد على اوامر الله، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) [سورة البقرة : الآية ٣٤] .

٢. ومن صفات الشيطان حسده وحقده على ما خلق تعالى كما جاء في قوله تعالى : ((قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً)) [سورة الإسراء : الآية ٦٢] . وهذا الإحتناك يشير إلى قيادة الشيطان لمَنْ تَبِعَهُ الى المعاصي [٣] .

وكان من ذلك أيضاً تعصّبه بوجه الله جلّ شأنه بما جاء على لسانه في القرآن الكريم : ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)) [سورة الأعراف : الآية ١٢]. وهذا مما ألقى بظلاله على التنظيم التكفيري (داعش) مثلاً الذي وضع الشيطان أسس العصبية لمَنْ تبعه في هذه الدنيا ، كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام) : ((كانت الحمية أمراً طارئاً على إبليس ... ، ومعاداته لآدم من أصل خلقته، فإبليس عدوّ الله ، وزعيم المتعصبين، وسلف المستكبرين، وإبليس واضع أسس العصبية))[٤] .

وهذا متأت من الجهل وعدم الصدق في اتباع الله تعالى في أوامره ونواهيه . وهذا جعل صفة عداوته للناس مخيفة وخطيرة حتى حذّر الله تعالى عباده ، فقال تعالى : ((وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) [سورة البقرة : الآية ١٦٨] .

وبهذا يكون غاوياً للناس ويأمرهم بكل سوء كما جاء في قوله تعالى : ((إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) [سورة البقرة : الآية ١٦٩]، ومن الصور الأخرى الموجبة بصفاتها الى من يمثلها في الأرض كمتبعين لمنهج الشيطان وغطرسته

التي أورثها اتباعه ، كفرعون الذي تمثّل من تلك الصفات ، كما جاء في القرآن الكريم : ((لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) [سورة الأعراف : الآية ١٢٤].

وهذا ما نلاحظه في سلوكيات التكفيريين المتأولين على الله تعالى كذباً ما لم يقل أو يفصد الذين اتخذوا من الشيطان مرجعاً وقائداً لهم ، يستمدّون أفكارهم وتصرفاتهم من إبليس أولاً ومن قادة السوء والضلالة لهم ثانياً .

قال الإمام علي (عليه السلام) في تعليقه على قول الخوارج ((لا حكم إلاّ لله)) : ((كلمة حقٍّ يُراد بها باطل ! نعم إنّه لا حكم إلا لله ، ولكنّ هؤلاء يقولون : ((لا إمرة إلاّ لله ، وإنّه لا بُدّ للناس من أمير بَرٍّ أو فاجرٍ يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها الأجل ...))[٥] .

وهؤلاء قوم قال عنهم (عليه السلام) حينما قيل له هلك القوم بأجمعهم : ((كلا والله ؛ إنهم نطفٌ في أصلاب الرجال، وقرارات النساء ، كلّما نَجَمَ منهم قرنٌ قُطِعَ ، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين))[٦] وهذا ما هو حاصل اليوم .

ويؤكد روح الشيطان فيهم باحتكامهم لغير الله تعالى : ((ثُمّ أنتم شُرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه))[٧] . ويقول (عليه السلام) في قوم أرادوا اتباع الخوارج : ((إنّ الشيطان اليوم قد استغلهم ، وهو غداً متبرئ منهم ، ومتخلٍّ عنهم))[٨] .

ويستمر (عليه السلام) في تأكيد نفوذ الشيطان في نفوس الخوارج فيقول (عليه السلام) بشأن الشيطان الذي أبى أن يسجد لما أمر به الله تعالى بالسجود لنبيّ الله آدم (عليه السلام) ، فقال الإمام علي (عليه السلام) في ذلك التعصّب والحسد والتكبّر (وهو اليوم من سمات داعش ومن سيأتي على نهجهم): ((اعترضته الحميّة فافتخر على آدم بخلقه ، وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين ، وسلف المستكبرين ، الذي وضع أساس العصبية ، ونازع الله رداء الجبرية، وادّرعَ لباس التعزز، وخلع قناع التذلل، ألا ترونّ كيف صغره الله بتكبره، ووضعه بترفعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدّ له في الآخرة سعيراً؟!))[٩].

يُلحظ هنا أيضاً ما قاله الإمام علي (عليه السلام) مخاطباً الخوارج ومحذراً الأمة منهم : ((فإن ابيتم إلّا أن تزعموا أني أخطأت وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد (صلى

الله عليه وآله وسلم) بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفرونهم بذنوبي، سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسقم ، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب ، وقد علمتم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله وقتل القاتل وورث ميراثه أهله ، وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليماً من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله .

ثم أنتم شرار الناس ومَنْ رمى به الشيطان مراميه ، وضرب به تيهه ! وسيهلك فيَّ صنفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس في حالاً النمط الأوسط فألزموه وألزموا السواد الأعظم فإنّ يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة ! فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذة من الغنم للذئب . ألا ومَنْ دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ، ولو كان تحت عمامتي هذه))[١٠] .

ثانياً : الأسباب الثانوية للتأويل الخاطئ في قراءة النص الدينيّ :

بين د. عمر عبدالله كامل [١١].

إن من أهم الأسباب العلمية لظاهرة التكفير ردها إلى عدةِ أسباب منها :

١. ضعف البصيرة في الدين فضلاً عن أخطاء منهجية في التفكير.

٢. التعامل مع الاتجاه الظاهري في فهم النصوص وبشكل خاطئٍ أيضاً .

٣. إتباع المتشابهات وترك المحكمات.

٤. ضعف المعرفة بالتاريخ والواقع وسنن الكون وغيرها مما له دور في أن تكون المعرفة مهمة في الوقوف على دقائق الأمور لو تعاملوا معها بمعرفة صحيحة .

ويوضّح د. عمر ذلك وغيره بقوله : ((من مظاهر الإنحراف الفكري ، والضعف العلمي : التباس المفاهيم ، وعدم فهم الإسلام ومقاصده ، ما أدى إلى التباس كثير من المفاهيم واضطرابها وفهمها على غير وجهها ، وتحديد تلك المفاهيم وتوضيحها له أهمية بالغة لما يترتب عليها من آثار بالغة الخطورة. في الحكم على الآخرين وتقويمهم ، وتكييف العلاقة

بهم ، وذلك مثل : الإيمان والإسلام ، والكفر والشرك والبدعة ، والفسق ، والظلم ، والنفاق ، والجاهلية ، ونحوها من المصطلحات العلمية.

إنَّ هؤلاء لم يتذوقوا اللغة ، ولم يفرقوا بين الحقيقة والمجاز ، وتمسكوا ببعض النصوص دون بعض ، ولم يتعلموا الأصول ، وطرق الترجيح بين المتعارضين ، ورد المتشابه إلى المحكم.

ولم يفقهوا مقاصد الشريعة ، وخالفوا الإجماع ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، فاختلطت عليهم الأمور ، واضطربت عندهم الموازين ، فهم لا يفرقون بين الإيمان الكامل ، وأصل الإيمان ، وبين الإسلام الكامل ومجرد الإسلام ، وبين الكفر الأكبر ، وكفر المعصية ، ولا يميزون بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر ، ولا يميزون بين الظلم الإعتقادي والظلم العملي ، والفسق الاعتقادي والفسق العلمي ، ولا بين نفاق العقيدة ونفاق العمل ، ولا بين بدعة الضلالة والسنة الحسنة))[١٢] .

أعتقد أن هذا النص لا يحتاج الى تعليق ؛ فهو بحدِّ ذاته تحليل مهم لأسباب مهمة في نشأة الفكر التكفيري والتطرّف في فهم النص الدينيّ [١٣] .

أشار أحد الباحثين إلى إن التكفيريين اليوم يرجعون في أصول وأسباب نشأة فكرهم التأويلي الخاطئ في قراءة النص الديني إلى [١٤] :

١- التكفير (أصل) ويشمل ذلك عندهم :

– تكفير مرتكب الكبيرة والقول بخروجه من الملة ، وأنه خالد مخلد في النار كما فعل الخوارج القدماء ، وكذلك تكفير المخالفين لهم من المسلمين (علمائهم وعامتهم) وتكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله مطلقاً دون تفصيل ، فضلاً عن تكفير من لم يكفر الكافر عندهم مطلقاً.

٢- وجوب الهجرة والعزل (أصل) ويشمل ذلك عندهم :

– هجر مساجد المسلمين وترك الصلاة بها ، وترك صلاة الجمعة ، وكذلك هجر التعلم والتعليم ، وتحريم الدخول في الجامعات والمدارس ، وفضلاً عن ذلك هجر الوظائف

الحكومية ، وهجر العمل في مؤسسات المجتمع ، وتحريم مزاولة أي عمل فيما يطلقون عليه بـ (المجتمع الجاهلي) الذي لا يتبعهم .

٣- الدعوة إلى الأمية ، ومحاربة التعليم ، وذلك بدعوى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة كانوا أميين – إلا النادر – وأنه لا يمكن التوفيق بين طلب العلم الدنيوية – وبين عبادة الله تعالى – بالصلاة والصوم والحج والدعاء والذكر وتلاوة كتاب الله والجهاد والبلاغ ، وأنه يمكن أن يتلقى المسلم القدر الضروري من العلم الشرعي بالتلقي المباشر دون اللجوء إلى تعلم القرآن والكتابة ، ونحو ذلك من التلبيسات.

٤- القول بالتوقف والتبيين (قاعدة التبيين) (أصل) : ويقصدون به كما يقصد (أسلافهم الخوارج الأولون ، التوقف في أمر مجهول الحال من غير جماعتهم (من المسلمين) فلا يحكمون عليه بالكفر ولا يحكمون له بالإسلام أو بالبينة ، وهي لزوم جماعتهم ومبايعة إمامهم (يقصدون أنفسهم) فمن أجاب فهو مسلم ومن لم يجب فهو كافر.

٥- لهم بدع قامت على :

أ - القول بمرحلية الأحكام ، وأنهم يسهمون في ترك بعض شعائر الدين وأحكامه (كالجمعة والعيدين) وارتكاب بعض المحرمات (كالزواج من الكافرات ، وأكل ذبائح المشركين) لأنهم في مرحلة الضعف كالعهد المكي.

ب - إحداث أصول تشريعية جديدة خاطئة ، تخالف منهج السلف ، ومنع التقليد والاقتداء مطلقاً.

المبحث الثاني

صفات الخوارج (المتأولين خطأ) قديماً وحديثاً ، ونماذج من تأويلاتهم الخاطئة

أولاً : صفات الخوارج (المتأولين خطأ) قديماً وحديثاً :

إنطلق الخوارج قديماً من شعار (لا حكم إلاّ لله) وبنو أحكامهم التأويلية الخاطئة على ذلك التأويل الخاطئ - وحتى خوارج اليوم – ومن ثم انطلقوا من منطلقات تُعد دستوراً لهم ، منها [١٥] :

١. إنطلاقهم الى آيات نزلت في الكفار والمشركين ، فجعلوها في المسلمين ، وفي ذلك قال ابن عباس (رض) : ((لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في أهل القبلة ، وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين ، فجهلوا علمها ، فسفكوا الدماء ، وانتهبوا الأموال ، فعليكم بالعلم بما نزل به القران)) .

٢. تقسيمهم العالم الإسلامي الى دارين : دار الإسلام ودار الحرب ، أو الكفر وبلادهم دار إسلام وإيمان تجب الهجرة اليها .

٣. إنطلقوا من مبدأ دموي آخر هو أنهم استحلّوا – وإلى اليوم - دماء وأموال من لم يوافقهم ولم يقل بقولهم .

٤. الخوارج أخذوا بالآيات المتشابهات وتركوا المحكمات وطبقوها على المسلمين ، وغير ذلك [١٦] .

٥. استحلالهم لدماء المسلمين أموالهم وسبي نسائهم وقتل أطفالهم وذلك لكل من يخالفهم في الرأي والقول .

٦. أخذوا من غلاة الحنابلة أموراً إرهابية كثيرة مثل (العنف عند غلاة الحنابلة، والتقارب مع اليهود والتشدد على المسلمين ، وكذلك الحكم الجائر بأن يقتلوا الناس على نياتهم و(جوازهم للعمليات الإنتحارية) والتي يطلقون عليها العمليات الاستشهادية ، فضلاً عن الأمر بقطيعة الرحم من أجل العقيدة الفاسدة التي يتبعونها، وكذلك التشبيه والتجسم للذات الإلهية) وغيره مما زاد في الخروج عن طريق الحق والصواب ، تشريع الكراهية بين المسلمين .

يضيف أحد الباحثين صفات دقيقة لهم وهي تُعدّ من أسس نشأتهم ومن أسبابها ، وأهمها[١٧] :

١- سموا بذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفهم بأنهم (يخرجون على حين فرقة من المسلمين، ولأنهم يخرجون على أئمة المسلمين ، وعلى جماعتهم ، بالاعتقاد والسيف).

٢- لأنهم فارقوا علياً وجماعة المسلمين بسبب مسألة التحكيم. حينما زعموا أن علياً حكم الرجال وقالوا : لا حكم إلاّ لله وقد كفّروا علياً والحكمين.

٣- الشراة : لأنهم زعموا أنهم يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله في قتالهم المسلمين.

٤- المارقة : لأن النبي (ص) سماهم (مارقة) ووصفهم بأنهم : ((يمرقون من الدين كما يمرق السّهمُ من الرمية)).

٥- المكفِّرَة : لأنهم يكفرون بالكبائر ، ويكفرون من خالفهم من المسلمين وهذا وصف لكل من نهج هذا النهج في كُلِّ زمان.

وهذه صفات دقيقة وتشكّل صفات رئيسة لخوارج اليوم ، فاسم الخوارج يشمل كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم ، كجماعات التكفير والهجرة ، والجماعات الجهادية اليوم ، وعلى هذا فإن الخوارج قد يخرجون في كل زمان ، وسيظهرون في آخر الزمان ، وكما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الخوارج الأولين فقد أخبر (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك عن المتأخرين وأنهم يخرجون في آخر الزمان قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((سيخرج قوم من آخر الزمان ، أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فأقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة))[١٨].

٦- الغلو فكان غلو الخوارج في تشددهم في الدين والأحكام والبراءَة وشدة الموقف من المخالفية وما استلزمه ذلك من التكفير والخروج والقتال وما ينطبق على الجماعات التكفيرية اليوم (عقيدة الولاء والبراء) من المسلمين وجواز قتالهم والخروج عليهم بالسيف.

٧- الجهل والحمق وقصر النظر : فكل من الخوارج والجماعات التكفيرية اليوم مواقفهم من الصحابة وخروجهم على الإمام وتكفيره وقتله.

٨- قلة العلم بالشرع وضعف التفقّه في الدين فكانت سمة الخوارج والسمة الغالبة فيهم الاغترار بالعلم القليل وليس لهم جهد على طلب العلم والرسوخ فيه ، وكذلك المتطرّفون اليوم .

٩- مجانبة السنة والخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم بالسيف ، فالخوارج قد فارقوا الجماعة في الاعتقاد والعمل وكذلك خوارج اليوم . قاموا بقتل أئمة المساجد ، واستعملوا السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة والعمليات الانتحارية لقتل الناس جميعاً .

١٠- الخوارج لم يعتمدوا على السنة الصحيحة ، وكذلك الجماعات التكفيرية (أحاديثهم ملتقطة وانتقائية) يأخذون ما يعضد أهواءهم ويجانبون آثار السلف.

١١- أكثر الخوارج من الأعراب وأهل الجفاء والغلظة في الطباع ، وكذلك الإرهابيون اليوم ؛ فأغلبها من البدو ، والطبقة الجافة عقلاً وسلوكاً .

١٢- أخذ الخوارج بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم ، ولا اعتبار عندهم لفهم العلماء وقواعد التعامل مع النصوص ؛ لذلك غلّبوا نصوص الوعيد والخوف ، وأهملوا نصوص الوعد والرجاء ، وكذلك تصرّفوا ببقية النصوص ودلالاتها على وفق هذه الحالة .

ثانياً : نماذج تطبيقية من التأويلات الخاطئة في قراءة النص الدينيّ :

كان الخوارج القدماء قد انطلقوا من شعارهم التأويلي الخاطئ في قراءتهم مثلاً لقوله تعالى : ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) [سورة المائدة : الآية ٤٤] .

فـ ((هذه الآية من المتشابهات وليس من المحكمات . والمتشابه يحتمل أوجهاً عديدة، فلا يجوز تقييده في حكم ، والمتشابه من حيث التعريف هو ما لم تتضح دلالته ، وهذا لا يبتعد عن قوله تعالى : ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْظالمون)) [سورة المائدة : الآية ٤٥] .وقوله تعالى : ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفاسقون)) [سورة المائدة : الآية ٤٧].بكل هذه الآيات نزلت في الكفار))[١٩] .

وقال مجاهد : في هذه الآيات الثلاث ((من ترك الحكم بما انزل الله رداً لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق))[٢٠] . يشير أحد الباحثين[٢١] الى أن سيد قطب يقرر من خلال فهمه للآية القرآنية : ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) [سورة المائدة : الآية ٤٤] .في كتابه (في ظلال القرآن مجلد ٨٩٨/٢) وبهذا التصميم الذي تحمله (من الشرطية بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان ويطلق حكماً عاماً على كل من لم يحكم بما

أنزل الله في أي جيل ومن أي قبيل ... والتأويل والتأوّل في مثل هذا الحكم لا يعني إلّا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه ، جاهلاً أو مكابراً أن السلف ومن بعدهم أوّلوا هذه الآية))[٢٢] .

وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية : ((نزلت كلها في الكفار)) .

... قال ابن مسعود والحسن : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقداً ذلك ومستعداً له ، فأما من فعل وهو معتقد أنه راكب محرماً فهو من فساق المسلمين وأمره الى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، إلا أن الشعبي قال : هي في اليهود خاصة ، واختاره النحاس قال : ويدل على ذلك ثلاثة أشياء :

منها : أن اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله : ((للذين هادوا)) [المائدة : الآية ٤٤ فعاد الضمير عليهم .

ومنها : ان سياق الكلام يدل على ذلك الا ترى ان ما بعده ((وكتبنا عليهم)) [المائدة : الآية ٤٥] فهذا الضمير لليهود بإجماع وأيضاً فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص .

فان قال قائل : (من) اذا كانت للمجازاة فهي عامة الا تنم يقع دليل على تخصيصها ، قيل له : (من) هنا بمعنى الذي ما ذكرناه من الادلة ، والتقدير ، واليهود الذين لم يحكموا بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ، فهذا من احسن ما قيل في هذا))[٢٣] .

وقد أشار أحد المفسرين الى ملامع من ذلك في تفسيره : ((قال مجاهد في هذه الآيات الثلاث : (من ترك الحكم بما انزل الله راداً لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق))[٢٤] .

وقال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) محذراً من التكفيريين فقال :

((فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم))[٢٥] .

إنَّ من أهم أسباب التطرّف والإنحراف في فكر الجماعات التكفيرية ، هي ((اتباعها المتشابهات من النصوص وتركها المحكمات البينات ، وهذا شأن ((... الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ)) [آل عمران : ٧].

والمراد ، بالمتشابه : ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره ، إما من حيث اللفظ ، وإما من حيثُ المعنى ، فهو غير منضبط المدلول ، ومحتمل المعنى ، ولا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره

، وأما المحكم فهو البين نفسه ، الدال على معناه بوضوح ، فهو واضح الدلالة ، محدد المفهوم. أما الذين في قلوبهم زيغٌ ، الذين يبتغون الفتنة للناس ، والتشويش عليهم ، فيتبعون المتشابه وهم الذين حذر منهم رسول الله (ص) بقوله : ((فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابَهَ منه فأولئك الذين سمى الله فأحذرهم))[٢٦].

وإنْ ترك المحكمات واتباع المتشابهات المحتملات هما اللذان جعلا طائفة الخوارج قديماً تسقط في ورطة التكفير لمن عاداهم من المسلمين ، وتقاتل علياً (رض) وقد كانوا جنوداً في جيشه ، مستدلين إلى أفهام غريبة وآراء عجيبة ، ورفعوا شعارهم المعروف والشهير ((إن الحكم إلا لله)) واتهموه بالخروج من الدين لأنه حكم الرجال في دين الله ، ورد عليهم الإمام بكلمته المشهورة : ((كلمة حق أريد بها باطل)) ، وهذا نفسه اليوم لدى خوارج العصر من طواغيت التحريف والتأويل الخاطئ في كل شيء .

إن النماذج التطبيقية السابقة والتي قامت على التأويل الخاطئ تركت آثارها في نشأة التطرف ، وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما (٦٤٨٠ ، ٦٦٥٩ ، ٦٦٦٠) (٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١) : من حديث ابن عمر ، وأبي موسى ، وأبي هريرة : أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ((من حَملَ علينا السلاحَ فليس منا)) ، فهؤلاء حملوا السلاح على الإنسانية عامة والمسلمين خاصة ، فضلاً عن التطرف في التعامل مع الناس بأساليب التكفير والقتل وغيرها .

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وصف الخوارج (وهم أساس التطرّف) : ((ليسوا بقراء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماءَ في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهلِ سابقةِ في الإسلام ، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل)) [٢٧].

وهذا يوضح كيف نشأ التعصب وآليات التطرف وجماعاته التكفيرية اليوم .

الخاتمة

كما سبق القول ان الفكر التكفيري يشكِّل مرحلة متقدمة وصورة واضحة لدلالات الشيطان وسلوكياته في عصرنا اليوم ، ويمكن أن يعدَّ ذلك نتائج عامة لأتباع ذلك السلوك الشيطاني وهي صفات وصور معبّرة عن تهديد ذلك للبشرية عامة ، ومن تلك النتائج التي

تجسّد دقة إتبّاع الفكر الظلاميّ لمنهج الشيطان في كثير من صفاته وسلوكياته التي ألبسها أتباعه ، وهذا من خلال :

أولاً : تزيين الرذائل للناس وجعلها طبعاً ثابتاً عندهم :

وهذا واضح مثلاً من قوله تعالى : ((فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [سورة النحل : الاية ٦٣] . وفي قوله تعالى : ((وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)) [سورة الانعام : الاية ٤٣] . وهذا كله ينسيهم ذكر الله تعالى وما يجب أن يكون عليهم من طاعته فيما أمر به جلّ شأنه .

ثانياً : من النتائج التي تكون بسبب اتباع منهج الشيطان هو نسيان ذكره تعالى ، وهذا بدّ ذاته يعرّض الإنسان الى التيه والانقياد وراء كل مضلّ ، ولاسيما الشيطان ، كما في قوله تعالى : ((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)) [سورة الزخرف : الآية ٣٦] .

وهذا ما حصل للتكفيرين حينما نسوا ذكر الله وما اراده تعالى ، قيّض لهم ان يكونوا متبعين للشيطان ومن يمثله فاصبحوا هم من شياطين الأرض .

ثالثاً : أصبحت التنظيمات التكفيرية تُثير الجدال العقيم القائم على تجاهل ومغالطة المبادئ الصحيحة وتخطئة الآخرين وتهديد أرواحهم وعقولهم بالموت المادي والمعنوي كما في قوله تعالى : ((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)) [سورة الأنعام : الآية ١٢١] .

رابعاً : من نتائج ذلك التنظيم التكفيري الفرعوني : أنه قام بتقسيم المجتمع وتفرقة رأيه وانحلال أخلاقه كما جاء في قوله تعالى : ((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً)) [سورة القص : الآية ٤] .

وبالنتيجة يكون كما قال تعالى : ((يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)) [سورة سبأ : الآية ٣١] . وكان رد الفعل لفرعون – كما أعتقد – ما جاء في قوله تعالى : ((لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) [سورة الاعراف : الآية ١٢٤] .

خامساً : والنتيجة الحتمية لتلك التصرفات والسلوكيات والصفات الشيطانية هو الضلال والإضلال للآخرين ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم : ((وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ)) [سورة الانعام : الآية ١١٦] .

وهذا الذي نعيشه اليوم من أوضاع وظروف صعبة في ظلّ همجيّة وعدوانية داعش وغيره ما هو إلا نتيجة ما اكتسبوه من الشيطان حتى باتوا ممّن يمثّله في الأرض بل هم الشيطان بعينه .

الهوامش:

(١) نهج البلاغة : ضبط : د.صبحي الصالح ، ص٥٣٢ .
(٢) يُنظر: الموسوعة العربية الميسرة : أشرف غربال وآخرون : ٢/ ١١٠٦
(٣) يُنظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي ، ص١١٠
(٤) نهج البلاغة : ضبط : د. صبحي الصالح ، ص٢٨٦
(٥) نهج البلاغة : ضبط : د. صبحي الصالح : ٨٢ .
(٦) المصدر نفسه : ٩٣-٩٤ .
(٧) المصدر نفسه : ١٨٤ .
(٨) المصدر نفسه : ٢٥٩-٢٦٠ .
(٩) المصدر نفسه : ٢٨٦ .
(١٠) نهج البلاغة : ١٢٧ .
(١١) يُنظر: المتطرفون خوارج العصر، ص (١٣١ – ١٣٦).
(١٢) المتطرفون خوارج العصر، ص١٣٦.
(١٣) نظرية التفكيك للنص الدينيّ عند العقل التكفيري : د. شعبان الشمري ، ص١٩٧-٢٠١ .
(١٤) يُنظر : الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام مناهجهم وأصولهم وسماتهم – قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم : د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، ص١١١.
(١٥) يُنظر: المتطرفون خوارج العصر، ص١٣٦ .
(١٦) يُنظر: نظرية التفكيك للنص الديني : ص١١٧-١١٨ ، ١٧٤-١٧٥ .
(١٧) ينظر: نظرية التفكيك للنص الديني : ص٢٤٣-٢٤٨ .
(١٨) صحيح البخاري ، باب ٦ ، الحديث ٦٩٣٠ ، فتح الباري : ٢٨٣/١٢ .
(١٩) صحيح مسلم :
(٢٠) مجاهد :
(٢١) يُنظر: السلفية الجهادية ، ص٢٠ .
(٢٢) في ظلال القرآن : سيد قطب ، ٨٩٨/٢ .

(٢٣) الجامع لأحكام القرآن ، ١٩٠/٦-١٩١ .

(٢٤) تفسير الخازن ، ٤٦٧/١-٤٧٨ .

(٢٥) صحيح البخاري ، ٤٥٤٧ .

(٢٦) نظرية التفكيك للنص الدينيّ : ص١٩٨ .

(٢٧) تاريخ الطبري : ١١٧/٣ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر والمراجع .

١. تاريخ الطبري : الطبري ، تحقيق : د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، (د.ط) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م .

٢. تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي ، ط١ ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران – إيران ، ١٤٠٧هـ .

٣. الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، (د.ط) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٤. الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام . مناهجهم وأصولهم وسماتهم : د. ناصر عبدالكريم ، ط١ ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، السعودية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٥. السلفية الجهادية : مروان شحادة ، ط٣ ، مركز المسبار للدراسات ، ٢٠١٣م .

٦. صحيح البخاري : نشر وتصحيح وتعليق : إدارة الطباعة المنيرية ، (د.ط) ، مصر ، (د.ت).

٧. صحيح مسلم : مسلم ابن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، (د.ط) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، ط٣٤ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٩. لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين الخازن ، (د.ط) ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت).

١٠. المتطرفون خوارج العصر : د. عمر عبدالله كامل ، ط١ ، توزيع داربيسان ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م .

١١. الموسوعة العربية الميسرة : أشرف غربال وآخرون ،

١٢. نظرية التفكيك الديني للنص الدينيّ عند العقل التكفيري : د. شعبان الشمري ، (د.ط) ، مركز الحجاز الدولي للبحوث والدراسات الإسلامية ، دار النصر ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .

١٣. نهج البلاغة : ضبط : د. صبحي الصالح ، ط٣ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم – إيران ، ١٤٢٦هـ .

Summary:

The takfiri thought was and still poses a great danger to all of humanity, and this is evident from what the Kharijites did in the past in terms of actions and deeds that separated the ummah, and alienated many people from the way of truth. To fit with their satanic thought that extends its origins to Satan and how they arrogated the envy of the Prophet of God Adam (peace be upon him) and disobeyed God Almighty in his envy, fanaticism and tyranny, which appeared in various forms in the verses of the Noble Qur'an. The emergence of the ancient Kharijites, and among their effects the emergence of the new Kharijites and how this had a great impact on the extension of the origins of extremism and the branches of its erroneous interpretations in reading the religious text in our modern era today.